ف. بولشاكوف ، معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية
(مطبوعات وكالة انباء نوفوستي للنشر ، موسكو ، ١٩٧٢)

ان اهمية هذا الكتاب تكمن في كونه احد الاعمال القليلة المتوفرة باللغة العربية والتي من شأنها ان تعطي القارىء العربي فكرة عن الاراء المتداولة في الاتحاد السوفياتي حول الصهيونية . والواقع ان هذا الكتاب من شأنه ان يسهم في التصدي للدعاية الصهيونية الرامية الى صرف اليهود السوفيات عن المشاركة في حياة بلادهم وزجهم في خدمة الامبريالية تحت لواء دولة اسرائيل . فالاطروحة الاساسية التي تمكن المؤلف من اثباتها في هذا الكتاب هي ان الحملة الدعائية الواسعة التي يقوم بها الصهيونيون (وخاصة صهيونيو الولايات المتحدة) ضد الاتحاد السوفياتي حاليا ، ليست تعبيرا عن حرصهم على « حقوق اليهود » في الاتحاد السوفياتي قدر ما هي تهدف الى ترويج مزاعم من شأنها ان تخدم مصالح الصهيونية والامبريالية وتسيء الى سمعة الاتحاد السوفياتي والشيوعية عامة . واعتقادي هو ان المؤلف اثبت هذه الاطروحة على شكلها العام هذا ، فأظهر ان الصهيونيين سبق وعبروا عن عدم اكتراثهم ليس فقط للحقوق بل وللارواح اليهودية في الماضي ، وعالج في احد اجزاء الكتاب مدى التعامل الذي كان قائما بين الصهيونيين والنازيين خلال تلك الاعوام التي تمت فيها عملية تصفية الجموع اليهودية في اوروبة الوسطى بالملايين . الا ان الاطروحة التي ينم عنها عنوان الكتاب — معاداة الشيوعية مهنة الصهيونية — لم تلق ما يكفي من التدعيم الوثائقي المحدد .

حصر المؤلف معالجته لموضوع عداء الصهيونية للاشتراكية في فترة ما بعد الثورة البولشفية . وتغطيته للاحداث المعنية منذ ذلك الحين حتى الان لم تكن شاملة ، ، فجاء كتابه على شكل بضعة أمثلة تثبت تعامل الصهيونيين مع أعداء الشيوعية. وقد برزت هذه الامثلة في معالجته لثلاثة مسائل رئيسية . اولا ، مساهمة الصهيونيين في محاربة البلاشفة في اوكرانية بعيد الثورة . ثانيا ، التعامل والتعاون الذي قام بين الصهيونيين والنازيين خلال الثلاثينات واوائل الاربعينات . ثالثا ، عمل الصهيونيين في الولايات المتحدة على معاداة الاتحاد السوفياتي والشيوعية عامة . والواقع ان المسألة الاولى عولجت باقتضاب ، والمسألة الثانية عولجت بقدر اكبر من الشمولية ، ، الا ان المسألة الاخيرة هي التي حظيت بأكبر قدر من اهتمام المؤلف .

تحت عنوان « سويا مع مدبري المذابح » ، تكلم المؤلف عن تعاون الصهيونيين مع كافة القوى الرجعية التي سعت لضرب الثورة وتحطيم السلطة السوفياتية خلال الحرب الاهلية . الا انه لم يعالج بالتحديد سوى تعاون الصهيونيين مع حكومة بتلورا في اوكرانية . ولعل المؤلف تعمد حصر المسألة في احداث اوكرانية حيث قامت حكومة بتلورا ضمن حملتها ضد البلاشفة بتنظيم المجازر التي بلغت اعداد ضحاياها ارقاما ضخمة وتضمنت اعدادا كبيرة من الفقراء والعمال اليهود . وقد أورد المؤلف وصف احد شهود العيان لاحدى هذه المجازر في بروسكورفه حيث « قتل رجال بتلورا حوالي الف رجل في الاحياء اليهودية الفقيرة على ضفة نهر بوج ، ولكنهم لم يمسوا باذى ولا عائلة واحدة من التجار اليهود القاطنين في شارع الكسندر الرئيسي » . وأورد المؤلف نقلا عن احد المؤرخين الاوكرانيين ان احد زعماء حزب بوعالي صهيون (الماباي الاسرائيلي) ، اسمه ديفوتسكي ، كان متربعا في منصب وزارة الشؤون اليهودية في حكومة بتلورا ولم يحرك ساكنا ازاء المجازر ، بل وكان يمدح سياسة حكومة بتلورا ، واقتصر عمله في الوزارة التي أسندت اليه على « تسجيل القرى والبلدان والمدن المدمرة وعدد الضحايا » . كما أورد المؤلف ان الزعيم الصهيوني جابوتنسكي جاء الى اوكرانية في وسط تلك الاحداث وتعاون مع رجال بتلورا واقترح تشكيل وحدات عسكرية للمشاركة في القتال من اجل الهدف المشترك وهو « تحطيم السلطة السوفياتية واغراقها في الدماء ولو كان ثمن ذلك مئات الالاف من اليهود » . وعلى ذلك فقد وجه المؤلف الانتباه الى فصل هام من فصول تاريخ الصهيونية وهو فصل يثبت عدم اكتراث الصهيونية للارواح اليهودية . الا ان هذا الفصل لا يمكن ان يكون سوى جزءا من قصة تعاون الصهيونية ضد الشيوعية وضد الدولة السوفياتية خلال الحرب الاهلية التي دارت رحاها في كافة مناطق وبلدان اوروبة الشرقية .

تحت عنوان « صفقة مع الشيطان » ، عالج المؤلف